في الإرهاب

كثيراً ما يتبيّن أن الإرهاب مجرّد عرض مسرحي. انه استراتيجية ضعف يتوسّلها أولئك الذين لا يجدون سبيلاً إلى السلطة أو إثبات الذات. وللإرهاب أنواع ودرجات...

في الأزمنة الأخيرة، تسبّب إرهابيون، خلال سنة، بمقتل عشرات معدودة من الضحايا في الولايات المتحدة. وفي الوقت عينه، أودت السمنة وما إليها من أمراض وحدَها، بحياة الآلاف من الأميركيين. وها ان بعض المشروبات والوجبات السريعة والأطعمة الجاهزة تؤلف مخاطر أشدّ فتكاً من تهديدات القاعدة وداعش.

أنّى للإرهابيين إذاً أن يتصدّروا العناوين الرئيسة في الصحف العالمية ويغيّروا الأوضاع السياسية في العالم؟ انهم يدفعون العالم الى المبالغة في ردّات الفعل. الإرهاب، في جوهره، مسرحية متنقّلة. يقدّم الارهابيون على مسرح الأحداث مشهداً مخيفاً من العنف يستحوذ على مخيّلة العالم بأسره. يودون بحياة حفنة من النّاس فيتسببون بخوف الملايين على حياتهم. وفي سبيل كبح جماح هذه المخاوف وتهدئة الخواطر، تردّ الحكومات على مسرح الإرهاب بعرض شبه هزلي فَرْضاً للأمن، فتتنظم مشاهد ضخمة من القوة المفتعلة. وفي معظم الحالات، تطرح المبالغة في ردّات الفعل على النّاس معضلات أكثر تهديداً للأمن والأمان من تلك التي يتسبّب بها الإرهابيون أنفسهم.

الإرهابيون أشبه ما يكونون بذبابة تحاول أن تدمّر متجراً. انها من الضعف بحيث تعجز عن أن تهزّ كوب ماء واحداً فأنّى للذبابة أن تدمّر متجراً؟ انها تعثر على ثور فتلج أذنه وتحدث فيها طنيناً مزعجاً. فيتميّز الثور من الخوف والغيظ ويدمّر المتجر.

هذا ما حصل بُعَيْدَ الحادي عشر من أيلول يوم حثّ أصوليون الثور الأميركي على تدمير المتجر الشرق أوسطي المتداعي أساساً. وبات الأصوليون اليوم يترنحون في غمر الحطام. وثمّة عدد زهيد من الثيران السريعي الهيجان في عالم اليوم وإنْ هم لبسوا غالباً ثياب الحملان.

ان نجاح الإرهاب أو فشله وقف على مَن يريد فعلاً أن يكافحه. فإن هم تسوَّغوا لمخيّلتهم أن يأسرَها الارهابيون، فبالغوا في ردّات فعلهم على مخاوفهم، سيبلغ الإرهاب مأربه. وإن هم حرّروا مخيلتهم من كابوس الارهابيين، وتجلّت ردّات فعلهم على وجه متوازن في مناخ من رباطة الجأش، مُني الإرهاب بالإخفاق ولو بعد حين، ولو إلى حين!

ولكن، أليس العقل غير المروْحن والمدبِّر، في النتيجة هو جرثومة الحروب والإرهاب، وهو أشدّ فتكاً من الأوبئة الزاحفة تحت كل سماء؟

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه